

## الأسبوع الأول

### مقدمة في علم الاجتماع وتعريفه

---

لقد وضعت دراسات عديدة خاصة في القرنين الأخيرين حول المجتمعات البشرية ومسارات حركتها نظرا للظروف القاسية التي مرت بها الإنسانية والتخبطات الفكرية والانحرافات السلوكية في مختلف المجتمعات ، فقد أصبحت الأمم تسير في طرق ومناهات ومسالك خطيرة لا نفع فيها لمستضعف أو مسكين ، ولا محافظه فيها على حرية أو كرامة الإنسان بل العكس فقط حطمت كل تلك الصور الروحية المشرقة التي اعتبرت خيالية في عالم الدنيا.

وهكذا بدأ الانحدار في القيم والمثل الاجتماعية في شرق الأرض وغربها ، ولم تكن بلادنا الاسلامية بمعزل عن ذلك ، فالحكام ابتعدوا عن السير على ما رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة حيث هجروا كتاب الله وعطلوا سنة نبيه صلى الله عليه وآله واتخذوا هواهم منهجا ، واتكلوا على طبقة من الوعاظ الضالين المضلين في تأويل الآيات والنصوص الشريفة حتى يسهل أمر السيطرة على الأمة وهو موضوع يشتمل على مباحث كثيرة لا نريد الخوض فيها.

ولم يكن الخلل بطبيعة الحال في العقيدة وأصولها وفروعها إنما في المسلك الخاطى للحكام الذين لا يهمهم الا منافعهم الخاصة والسيطرة على البلاد والعباد ، أما في المجتمعات الغربية فان الخلل الذي أصابها كان في العقيدة المنحرفة والكتاب المختلف على نصوصه الثابتة التي نزل بها ، واقتصد كتاب (العهد القديم والجديد) أي التوراة والإنجيل ، وكذلك في القيمين على أمور الدين والحكم ، على العكس مما هو موجود عند المسلمين الذين حافظوا على كتابهم وعقيدتهم من التحريف وبقوا على تمسكهم بدينهم ، على الرغم من الظروف القاسية التي مروا بها ، وما كان هذا إلا لوجود أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين صانوا العقيدة والسنة النبوية الطاهرة من التحريف والابتعاد عن أصولها، بل كانوا يتخذون غالبا موقع الهداية وتثبيت الحقائق وحفظها وتوضيحها للناس ، فأصبحوا بذلك المرجعية الوحيدة والواقعية للمسلمين في هذا الوسط وتلك المعاناة والصعوبات الشديدة التي رافقت مهمتهم الرسالية الكبرى .

وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن العالم الإسلامي كان أفضل حالا من المجتمعات الأخرى ، فقد تأثر بشكل وبآخر بأفعال السلاطين ووعاظهم الذين غيروا ما غيروا في مسيرة المجتمعات الإسلامية وثوابتها ، لكن بقيت الخطوط العامة للقيم والثوابت الإسلامية الأصلية راسخة في ضمير الأمة خصوصا في الجوانب الفكرية والعقدية والاجتماعية ، ذلك أن الدين الإسلامي نظام كامل في كافة المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها فهو لا يحتاج الا للتطبيق العملي وقد اشبعه واغناه الفقهاء بالتفاصيل والمباحث حيث لا تجد نقصا في أمر من أمور الإنسان والحياة إلا وفيه حكم وقانون متواتر الورد .

إن دراسة المجتمعات الإنسانية من ناحية نظمها ووظائفها وسلوكياتها هو علم بحد ذاته يدرس أصل وتطور هذه المجتمعات وقيمها وتركيبها الاجتماعي وعقائدها وعلاقاتها المشتركة ، ومن هنا فإننا عندما نحاول تعريف علم الاجتماع نقصد به العلاقات الاجتماعية بشكل عام ، فيكون علم الاجتماع بهذا المعنى شاملاً لكثير من العلوم ومن جملتها الجغرافيا البشرية وعلم الاقتصاد والسياسة ومعرفة الإنسان والتاريخ ، لأن متعلق البحث فيها هو معرفة الصور النوعية للمجتمعات التي يعبر عنها العالم الاجتماع الفرنسي ( الأستاذ هنري مدراس ) بقوله : إن علم الاجتماع في رأينا يشمل الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ودراسة الشعوب معاً فإنه يقصد هذا المعنى العام أي علم الاجتماع ، وحقيقة علم الاجتماع انه يمتد الى القوانين والأحكام التي تنظم السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمع ، ويدخل في دراسة نظم المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والأديان والفلسفة دراسة وصفية تحليلية يعتمد على ما يمكن في هذه المواضيع مع التطرق الى القوى والعوامل التي تعمل على سكونها وحركتها .

أما ( دوركايم ) فيقول : علم الاجتماع هو الموضوع الذي يدرس المجتمعات الإنسانية من ناحية نظمها ووظائفها ومستقبلها او هو العلم الذي يدرس أصل وتطور المؤسسات الاجتماعية التي يبني منها التركيب الاجتماعي .

وذكرنا لتعريفات علماء الاجتماع الغربيين المعاصرين لا يعني أن العلماء المسلمين لم يدلوا بدلوهم في هذا المضمار بل برز منهم علماء اجتماع كبار، ولعل أول ما يأتي في الذهن هو ابن خلدون فهو عالم الاجتماع العربي المعروف المتوفى في القرن التاسع الهجري ، كما كانت هناك محاولات من علماء آخرين سبقوا ابن خلدون في هذا الجانب .

لكننا عندما نقرا تراث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخصوصا في كتاب ( نهج البلاغة ) والنصوص الأخرى التي وردت عنه في الكتب الحديثية والتاريخية يقف المرء مذهولا مندهشا حينما يسمع بذلك الرجل وأيد القرون الوسطى يُملئ على عامله مالك الأشتر النخعي رضوان الله تعالى عليه نظريات الحقوق الإدارية التي لا يستغني عنها أي موظف إداري في عصرنا هذا ، كذلك ما نجده في كتبه وخطبه وحكمه التي تتضمن أسس علم الاجتماع في جوانبه المختلفة . إن الفكر الاجتماعي للإمام علي عليه السلام مليء بأسس ومعالم علم الاجتماع وبكل فروعه

المطروحة في الوقت الحاضر على أنها مستحدثة وجديدة ، وهي في حقيقتها ومعالجتها موجودة بكل أبعادها في فكر سيد الموحدين علي عليه السلام ، بل تجده كأنه واضع مبادئ هذا العلم بكل مضامينه ، ولا اريد ان اجزم هنا واقول انه عليه السلام مؤسس علم الاجتماع الذي اقتبس نوره من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وعلى ما أفاض به فكره الخلاق وما حواه من سياسة وتنظيم وقضاء واقتصاد وتربية وعلوم نفس واجتماع بالاضافة الى كل القيم الأخلاقية الإسلامية حتى نتناول ونبين ونوضح بإذن الله تعالى بعد هذه المقدمة ما وجدناه في تراثه عليه السلام اقصدا كتاب ( نهج البلاغة ) ما يؤكد ما ذهبنا إليه .